

2015

دور العلوم الإنسانية في التصدي للعولمة والتغريب

أ.م. د. عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي
الجامعة العراقية – كلية التربية

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad>



Part of the [Arts and Humanities Commons](#), and the [Law Commons](#)

Recommended Citation

"دور العلوم الإنسانية في التصدي للعولمة والتغريب", *Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal*: Vol. 2015: Iss. 1, Article 14.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol2015/iss1/14>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

دور العلوم الإنسانية في التصدي للعولمة والتغريب

أ.م. د. عبد الرحمن إبراهيم حمد
الغنطوسي
الجامعة العراقية – كلية التربية

الملخص

لقد كثر الحديث عن العولمة والتغريب في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ، فتناولتها بالحديث الأوساط الجامعية والإعلامية والتيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وأصبحت حديث الاجتماعيين والفلاسفة الأوروبيين وعلماء البيئة والطبيعة وكثرت أعداد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي تحمل عناوينهما "العولمة" أو النظام العالمي الجديد أو المتغيرات الدولية الجديدة أو الكونية. نقول لدين في العلوم الإنسانية رجال ومفكرين ، وإنهم نماذج شامخة، وأطواد راسخة في العلم والتقوى، وأعلام بارزة في العلم والفقه والفتوى، فضائلهم لا تُجارى، ومناقبهم لا تُبارى، وفقوا في وجه العولمة والتغريب وهؤلاء العلماء هم المعتمدين بالدليل والأثر ولقد صدرت كثير من المؤلفات باللغات الأوروبية والعربية التي تتناول ظاهرة العولمة والتغريب ، لدرجة أن المرء يكاد يحار في كيفية دراسة هذه الظاهرة والإلمام بموضوعها، خاصة أن كل كاتب أو متحدث يتناولها بالدراسة والتحليل من جانب معين مثل الجانب الاقتصادي أو الثقافي أو السياسي أو الإعلامي. ولكن سيكون إن شاء الله تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب نقف في المطلب الأول على مفهوم العولمة في كتب المعاجم والاصطلاح ونخصص المطلب الثاني التغريب عند علماء اللغة والاصطلاح أما المطلب الثالث فيتناول موقف الشريعة السمحاء من ظاهرة العولمة والتغريب وتصديها لهما .

Abstract

There has been much talk about globalization and Westernization in the last ten years of the twentieth century, Vtnoltha talking university and media circles intellectual, political and various currents, and become the talk of social philosophers Europeans and environmentalists and nature, and multiplied the number of seminars, conferences and lectures that carry Anawanhma "globalization" or the New World Order or international changes new or cosmic. We say to the religion of the men and thinkers, the humanities, and they are tall models, Otoad well established in science and piety, a prominent and flags in science and jurisprudence and the fatwa, their virtues are not commercial, and Mnaqubhm unrivaled, and stood in the face of globalization and westernization, and these scientists are carers evidence and impact and have exported many of the compositions languages European and Arab dealing with the phenomenon of globalization and westernization, so much so that one almost wonders how to study this phenomenon and knowledge of the subject matter, especially that every writer or speaker addressed by the study and analysis of a particular aspect such as economic, cultural or political or media side. But it will be, God willing, be divided into three demands we stand in the first demand on the concept of globalization in the books of lexicography and terminology and dedicate second requirement of alienation when the term linguists The third demand deals with the position of the Shari'a of the phenomenon of globalization and westernization, and their response to them.

μ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد: فقد جاء الإسلام بتعاليمه السمحة ، ومبادئه القويمة، ومقاصده العظيمة ، ليحفظ للناس دينهم ، ويوفر كرامتهم، ويصون لهم حقوقهم وضروراتهم ، ويرشدهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم . وقد كانت العولمة والتغريب من الأفكار التي تعتدي على نفوس الناس وعقولهم بغير حق وانتهاكا لحرمتهم ، وأمنهم ومصالحهم ، كان لزاما أن تتضافر الجهود للدفاعة والقضاء عليهما ، صيانة لضرورات الناس ، وأمنهم ومصالحهم ، وحماية لهم من تبعات الأفكار الهدامة وآلامها وشرورها. لقد كثر الحديث عن العولمة والتغريب في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ، فتناولتها بالحديث الأوساط الجامعية والإعلامية والتيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وأصبحت حديث الاجتماعيين والفلاسفة الأوربيين وعلماء البيئة والطبيعة وكثرت أعداد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي تحمل عناوينها "العولمة" أو النظام العالمي الجديد أو المتغيرات الدولية الجديدة أو الكونية. نقول لذين في العلوم الإنسانية رجال ومفكرين ، وإنهم نماذج شامخة، وأطواد راسخة في العلم والتقوى، وأعلام بارزة في العلم والفقہ والقوى، فضائلهم لا تجارى، ومناقبهم لا تُبارى، وقفوا في وجه العولمة والتغريب وهؤلاء العلماء هم المعتمدين بالدليل والأثر، والمتحليين بالاعتدال والوسطية، والحريصين على إصلاح المجتمع ، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعلى الرغم من حصول زوابع، وهبوب عواصف العولمة والتغريب ، وهيجان أمواجهما ، وتعرض الأمة إلى الكثير من جوانب الخلل العقدي والفكري والأخلاقي، وما تموج به الساحة من فوضى الاجتهاد عند بعض المتعلمين، في أطروحات عرجاء، ومداولات مججوة، والقول على الله بغير علم، والتلاعب بالحلال والحرام حسب الأهواء، وأمام هذا الطوفان الهائج من العولمة والتغريب، وغياب العلماء الراسخين، وتصدر الروبيضة، ونطق أنصاف المتعلمين فما كان من هذا إلا أن يظهر الطراز المتميز من العلماء والمفكرين في الاجتهاد وحسن التوجيه، لتماسك بنية المجتمع، والحفاظ على أمن الأمة بصوره المتعددة، وجوانبه المختلفة، والدعوة إلى المنهجية المنضبطة بضوابط الشريعة، حتى تعبر سفينة الأمة بأمان في بحر الفتن المتلاطم، وسير المحن المتفاقم، إلى شاطئ السلامة وبر النجاة، وحتى يسد الطريق أمام المصطادين في الماء العكر، أن دين الله محفوظ، وشريعته باقية، وخيره يفيض ولا يغيض، فأعلام الديانة مرفوعة وعلم هذا الدين يحمله من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين .ولقد صدرت كثير من المؤلفات باللغات الأوربية والعربية التي تتناول ظاهرة العولمة والتغريب ، لدرجة أن المرء يكاد يحار في كيفية دراسة هذه الظاهرة والإلمام بموضوعها، خاصة أن كل كاتب أو متحدث يتناولها بالدراسة والتحليل من جانب معين مثل الجانب الاقتصادي أو الثقافي أو السياسي أو الإعلامي.ولكن سيكون إن شاء الله تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب نقف في المطلب الأول على مفهوم العولمة في كتب المعاجم والاصطلاح ونخصص المطلب الثاني التغريب عند علماء اللغة والاصطلاح أما المطلب الثالث فيتناول موقف الشريعة السمحاء من ظاهرة العولمة والتغريب وتصديها لهما والحمد لله رب العالمين

الباحث

المطلب الأول

تعريف العولمة عند أهل اللغة والاصطلاح

إن الدارسين المهتمون بقضية العولمة متفقون تقريباً على أن الكلمة جديدة ولكن ما تصفه ليس بجديد، بل يرى بعضهم أن السير نحوها بدأ منذ مئات السنين. ولقد أصبح مصطلح العولمة متداولاً منذ بداية التسعينات، وأصبح علماً على الفترة الجديدة التي بدأت بتدمير جدار برلين عام 1989م وسقوط الاتحاد السوفييتي وتفككه، وانتهت بتغلب النظام الرأسمالي الغربي على النظام الشيوعي، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم المعاصر⁽¹⁾. العولمة في كتب المعاجم اللغوية تأتي من ثلاثي مزيد، يقال: عولمة على وزن قولبة، وكلمة "العولمة" نسبة إلى العالم بفتح العين- أي الكون، وليس إلى العلم -بكسر العين- والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل: مشتق من العلم، وذلك على تفصيل مذكور في كتب اللغة. فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه (درجة) المصدر، لكن (درجة) رباعي منقول، أما (عولمة) فرباعي مخترع إن صح التعبير وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى ومعناها: وضع الشيء على مستوى العالم وأصبحت الكلمة دارجة على أسنة الكتاب والمفكرين في أنحاء الوطن العربي⁽²⁾. ويرى الدكتور أحمد صدقي الدجاني أن العولمة مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم. وننبه إلى أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرّر إجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً. والعولمة ترجمة لكلمة Mondialisation الفرنسية، بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي، والكلمة الفرنسية المذكورة إنما هي ترجمة "Globalisation" الإنجليزية التي ظهرت أولاً في الولايات المتحدة الأمريكية، بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل⁽³⁾. فهي إذا مصطلح يعني جعل العالم عالماً واحداً، موجهاً توجيهاً واحداً في إطار حضارة واحدة، ولذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبية⁽⁴⁾. ومن خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نقول بأن العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني: تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله. جاء في المعجم العالم الجديد ويبستر "WEBSTER" أن العولمة "Globalisation" هي: إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء، أو تطبيقه، عالمياً⁽⁵⁾. العولمة إذاً من حيث اللغة كلمة غريبة على اللغة العربية ويقصد منها عند الاستعمال- اليوم- تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. وفي العقل العربي المسلم، يعرفها بعض الباحثين بأنها: (التداخل الواضح لأمر الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية. والعولمة ترتبط في أذهان الكثير من الناس بالتقدم والرفق والانفتاح الاقتصادي، ومع أن مفهوم العولمة لا يقتصر على الجانب الاقتصادي بل يشمل الجوانب الاجتماعية والبيئية، والثقافية، والسياسية، إلا أن الجانب الاقتصادي هو أبرز مظاهر العولمة⁽⁶⁾. ومن الجدير بالذكر أن تعبير "العولمة" في التداول السياسي قد طرح من قبل كتاب أمريكيان في السبعينات وبالتحديد من كتاب "ماك لولهان وكيثنتين فيور: حول "الحرب والسلام في القرية الكونية"، وكتاب "بريجسكي: بين عصرين- دور أمريكا في العصر الإلكتروني. هذا تعريف شامل للعولمة، وكل جانب من جوانب العولمة سواء الجانب السياسي، أو الاقتصادي، أو الثقافي له أنشطته وجهود تحقيقه التي يتبناها دعاة العولمة⁽⁷⁾. واصطلاحاً: إن كلمة العولمة جديدة، وهي مصطلح حديث لم يدخل بعد في القواميس السياسية والاقتصادية. وفي الواقع يعبر مصطلح العولمة عن تطورين هاميين هما: التحديث (Modernity، الاعتماد المتبادل Inter-dependence)، ويرتكز مفهوم العولمة على التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية، بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية المعاصرة⁽⁸⁾.

لقد ظهرت العولمة أولاً كمصطلح في مجال التجارة والمال والاقتصاد، ثم أخذ يجري الحديث عنها بوصفها نظاماً أو نسقاً أو حالة ذات أبعاد متعددة، تتجاوز دائرة الاقتصاد، فتشمل إلى جانب ذلك المبادلات والاتصال والسياسة والفكر والتربية والاجتماع والأيدولوجيا. وقد أطلق على العولمة بعض

الكتاب والمفكرين "النظام العالمي الجديد"- New World Order- وهذا المصطلح استخدمه الرئيس الأمريكي جورج بوش-الأب- في خطاب وجهه للأمة الأمريكية بمناسبة إرساله القوات الأمريكية إلى الخليج (بعد أسبوع واحد من نشوب الأزمة في أغسطس 1990م) وفي معرض حديثه عن هذا القرار، تحدث عن فكرة: عصر جديد، وحقبة للحرية، وزمن للسلام لكل الشعوب. وبعد ذلك بأقل من شهر أشار إلى إقامة (نظام عالمي جديد) يكون متحرراً من الإرهاب، وأكثر أمناً في طلب السلام، عصر تستطيع فيه كل أمم العالم أن تتعم بالرخاء وتعيش في تناغم (9). وربما يوحي هذا الإطلاق- النظام العالمي الجديد- بأن اللفظة ذات مضامين سياسية بحتة، ولكن في الحقيقة تشمل مضامين سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وتربوية، بمعنى آخر تشمل مضامين تتعلق بكل جوانب الحياة الإنسانية. ولقد فرضت العولمة نفسها على الحياة المعاصرة، على العديد من المستويات، سياسياً واقتصادياً، فكرياً وعلمياً، ثقافياً وإعلامياً، تربوياً وتعليمياً. يقول الرئيس الأمريكي السابق كلينتون: "ليست العولمة مجرد قضية اقتصادية بل يجب النظر إلى أهمية مسائل البيئة والتربية والصحة" (10). والنظام العالمي الجديد هو في حقيقة أمره وطبيعة أهدافه، نظامٌ صاغته قوى الهيمنة والسيطرة لإحداث نمط سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وإعلامي واحد وفرضه على المجتمعات الإنسانية كافة، وإلزام الحكومات بالتقيد به وتطبيقه. ولقد كثرت التعاريف التي توضح معنى العولمة، نذكر هنا بعضاً منها، ثم اذكر التعريف الذي أرى أنه يعبر عن المعنى الحقيقي لظاهرة العولمة. ومن هذه التعريفات العولمة هي: "العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتمائل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على موانيق إنسانية عامة".

والموانيق الإنسانية الواردة في هذا التعريف هي الموانيق التي يصنعها الغرب وأساسها نظرة علمانية مادية للوجود لتحقيق مصالحه الخاصة، ثم تصدر للعالم على أنها موانيق إنسانية لصالح البشرية، ولا بأس أن تصدر بها القرارات الدولية من هيئة الأمم المتحدة باعتبارها مؤسسة حامية للحقوق الإنسانية (11)* "هي تعاضد شيوخ نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاضد آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً، بعد التداخيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي" أو هي "محاولة لفرض الفلسفة البراجماتية النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع". هي "العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع" وهي أيضاً أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمرته". أي محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية، ويتركز أساساً على عمليتي تحليل وتركيب للكائنات السياسية العالمية، وإعادة صياغتها سياسياً واقتصادياً وثقافياً وبشرياً، وبالطريقة التي تستجيب للمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية (12). * العولمة: منظومة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، يُراد بها إكراه العالم كله على الاندماج فيها، وتبنيها، والعمل بها، والعيش في إطارها. وبعد دراسة متأنية لظاهرة العولمة وأهدافها ووسائلها وتأثيراتها في واقع المجتمعات والشعوب يمكن أن تعرف العولمة بما يلي:

"العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد (13).

والشيء الذي لا بد من الوقوف عنده كثيراً هو أنّ العولمة كظاهرة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية ترتبط أساساً بالمفهوم الاقتصادي الرأسمالي- وفق الرؤية الأمريكية- في مراحلها المتطورة، إن لم يكن في أعلى حالات تطوره، أو لنقل سيطرته على الاقتصاد العالمي وبالتالي السيطرة على كافة أشكال ومظاهر التطور الإنساني.

المطلب الثاني

مفهوم التغريب

مفردة التغريب: وردت عند العلماء القدامى، وقد اختلف الفقهاء في ماهية التغريب، فقال مالك وأبو حنيفة إن التغريب معناه الحبس، فيحبس المغرب في البلد الذي يغرب إليه مدة لا تزيد على سنة، فالتغريب عند المالكيين والحنفيين معناه الحبس في بلد غير البلد الذي وقعت فيه الجريمة (14). ويرى الشافعي وأحمد أن التغريب معناه النفي من البلد الذي حدث فيه الزنا إلى بلد آخر، على أن يراقب المغرب بحيث بالمراقبة في البلد الذي غرب إليه، ولا يحبس فيه، فالتغريب عند هو الوضع تحت المراقبة في بلد آخر. ومن هذا الرأي الظاهريون. ويشترط بعض الفقهاء في التغريب أن يكون لمسافة لا تقل عن مسافة القصر. ويرى البعض أن يكون النفي من عمل الحاكم إلى عمل غيره دون التقيد بمسافة معينة، فلو نفي إلى قرية تبعد عن محل الحادث ميلاً لكفى، كما يجوز أن ينفي من مصر إلى مصر لأن النفي ورد مطلقاً فينتول أقل ما يقع عليه الاسم (15). والمقصود من المراقبة أن يمنع الزاني من العودة إلى بلدة قبل انتهاء المدة، أو إلى ما دون مسافة القصر على رأى البعض، ويرى البعض أن المراقبة مقصود بها إلزام المغرب بالإقامة في البلد المغرب إليه، فلا يُمكن من الضرب في الأرض (16). وقد أخذت الدول الأوروبية بنظرية التغريب وطبقوها في قوانينها، فإنجلترا مثلاً كانت تبعد المحكوم عليهم إلى أمريكا وإلى أستراليا، ثم اضطرت إلى العدول عن الإبعاد بعد اعتراض سكان المستعمرات. والقانون الفرنسي الصادر في سنة 1810 يجعل الإبعاد عقوبة تساعد على التخلص من السياسيين المناوئين للنظام القائم. كذلك جعل القانون الفرنسي من الإبعاد طريقة لتنفيذ عقوبة الأشغال الشاقة في المستعمرات وجعل منه عقوبة تكميلية للمجرمين العائدين. والقانون الإيطالي يبيع لوزير العدل أن يأمر بتنفيذ عقوبة الأشغال الشاقة أو السجن في إحدى المستعمرات.

والتغريب في المفهوم الحديث والمعاصر هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعمامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية (17). التأسيس وأبرز الشخصيات: بدأ المشرقيون في العالم الإسلامي مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر بتحديث جيوشهم وتعزيزها عن طريق إرسال بعثات إلى البلاد الأوروبية أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة، وذلك لمواجهة تطوع الغربيين إلى بسط نفوذهم الاستعماري إثر بدء عهد النهضة الأوروبية (18). وقد استقدم السلطان سليم الثالث المهندسين من السويد وفرنسا والمجر وإنجلترا وذلك لإنشاء المدارس الحربية والبحرية. و قام محمد علي والي مصر، والذي تولى سنة 1805م، ببناء جيش على النظام الأوروبي، كما عمد إلى ابتعاث خرجي الأزهر من أجل التخصص في أوروبا. و أنشأ أحمد باشا باي الأول في تونس جيشاً نظامياً، وافتتح مدرسة للعلوم الحربية فيها ضباط وأساتذة فرنسيون وإيطاليون وإنجليز. والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب؛ هو أن تتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي... هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره، وقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين، وقليل من الزعماء الدينيين (19). والهدف من حملة التغريب هو إخراج المسلمين من دائرة فكرهم بما يخلق شعوراً بالنقص في نفوسهم وذلك بالتأثير في النفس والمزاج والروح الإسلامي لإخراجها جميعاً من مفاهيمها وموارثها وفرض أعراف جديدة عليها مخالفة لها في الأصل مباينة لها في الجذور. وفي مواجهة هذا علينا أن نعرف بأن هناك عالمين منفصلين: قد يؤثر أحدهما في الآخر ولكنهما لا يمتزجان أبداً ولا يخضع أحدهما للآخر، ولا يستوعب أحدهما الآخر ولا يحتويه، هما عالم الإسلام المتميز بطابعه ومفاهيمه وقيمه وعالم الغرب. والفكر الإسلامي له من جذوره العميقة وأصوله العريقة ما يجعله قادراً دوماً على التماس التجدد دون أن يفقد الأصالة (20). والخطر كله يتمثل في بعض المفكرين من العرب الذين يفكرون من داخل دائرة الفكر الغربي ويتحركون خارج إطار الفكر الإسلامي ومن هنا تأتي أخطاؤهم ويأتي عجز نظرهم عن أن ترى الأفق الواسع الممتد (21). والمقصود بمفهوم التغريب هو ما تبناه كثير من المفكرين في تلك الأيام، وهو الدعوة إلى الأخذ عن الغرب، ومحاولة تقليده في شتى

إن السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم ، والمسيرة المؤطرة للفكر والفهم الإسلامي في تاريخه كله ، من خلال استبعاد الوحي كمصدر للمعرفة والعلم ، أو تهيمشه - على الأقل - وجعله تابعاً لغيره من المصادر كالعقل والحس ، وما هذا إلا أثر من آثار الإنكار العلماني للغيب ، والسخرية من الإيمان بالغيب ، واعتبارها - في أحسن الأحوال - جزء من الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية ، والترويج لما يسمى بالعقلانية والواقعية والإنسانية ، وجعل ذلك هو البديل الموازي للإيمان في مفهومه الشرعي الأصيل ، وكسر الحواجز النفسية بين الإيمان والكفر ، ليعيش الجميع تحت مظلة العلمانية في عصر العولمة . وفي كتابات " محمد عابد الجابري " و " حسن حنفي " و " حسين مروة " و " العروي " وأمثالهم الأدلة على هذا الأمر . وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري ، عبر غوغائية إعلامية غير شريفة ولا أخلاقية ، لتخويف الناس من الإلتزام بالإسلام ، والاستماع لدعائه ، وعلى الرغم من وقوع الأخطاء - وأحياناً الفظيعة - من بعض المنتمين أو المدعين إلى الإسلام ، إلا أنها نقطة في بحر التطرف والإرهاب العلماني الذي يمارس على شعوب بأكملها ، وعبر عقود من السنين، لكنه عدم المصادقية والكيل بمكيالين ، إن تميع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق ، والفكر والسياسة ، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها ، واستخدام هذه المفاهيم في تحليل المواقف والأحداث ، ودراسة المشاريع والبرامج ، أي فك الارتباط بين الدنيا والآخرة في وجدان وفكر وعقل الإنسان، ومن هنا ترى التخطيط الواضح في كثير من جوانب الحياة الذي يعجب له من نور الله قلبه بالإيمان، ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقد دقت طبول العولمة واعتبارها القدر المحتوم الذي لا مفر منه ولا خلاص إلا به، دون التمييز بين المقبول والمرفوض على مقتضى المعايير الشرعية ، بل إنهم ليصرخون بأن أي شئ في حياتنا يجب أن يكون محل التساؤل دون التفريق بين الثوابت والمتغيرات مما يؤدي إلى تحويل بلاد الشرق إلى سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية ، والتوصل لذلك بذرائع نفعية محضة لا يسيروا غير أهواء الدنيا وشهواتها . الإسلام دين التسامح والمعاشية ، يقول عليه الصلاة والسلام: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً) أخرجه البخاري(11)[11]. وهل يعني الولاء والبراء - يا عباد الله - اتخاذ المستأمنين والمعاهدين والذميين غرضاً للقتل والترويع وسفك الدماء وتناثر الأشلء؟! يقول جل شأنه: **وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَبْنُونَ دِينَهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ قُلُوبًا** [المائدة:2]، ويقول سبحانه: **وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ فَيُضِلَّكُمْ وَتَكُونُوا شَرَكًا لِلَّذِينَ ابْتَدَؤُا** [الممتحنة:8]. والآية دليل على سماحة الإسلام ويُسره واعتداله وموقفه المنصف من المخالفين. إن قضية العولمة قضية خطيرة ناجمة عن انحراف وغلو، وقد نُهينا عن الغلو في الدين لأنه سبب هلاك الأولين: **جَاءَ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ مِصْرَ بِبَنَاتٍ مُّضْجٍ وَهُنَّ أُفْعَىٰ فَعَزَّاهُنَّ بِطِبِّهِنَّ وَقُلْنَ إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** [المائدة:77]. والغلو مذموم في جانب الوجود والعدم والفعل والترك، كما أنَّ الإرهاب مذموم في الأسباب والبواعث والمقدمات والنتائج والأفعال وردود الأفعال، إضافة إلى أنَّ امتطاء صهوة التكفير يبعث عليها جهل مركب في فهم مسائل من الدين كالولاء والبراء والجهاد والحدود والدماء، وقد بلغت حدًا يوجب التصدي له من قِبَل أهل العلم بالحجة والبيان والدليل والبرهان، حراسة لشباب الأمة الغض من الهوي في عينها الحمة والتمرغ في أحوالها التبتة، يقول : (من رمى أخاه بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه)(12)[12]، وقال عليه الصلاة والسلام: (من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما) عياداً بالله، خرجه مسلم في صحيحه إنَّ على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وعلماء الشريعة الموقعين عن رب العالمين المؤتمنين على ميراث النبوة، والدعاة ورجال الفكر السليم ، أن يربطوا المسلمين وفتياتهم بمنهاج الوسطية المعتدلة التي جاءت بها شريعة الإسلام، ودلت عليها نصوص الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وتمثلتها مهبط الوحي ومنبع الرسالة، فكان أن سَطَعَ بأساطين قيادتها نورٌ ويؤكد هنا ، على التحذير من الجانب المزعوم للإصلاح الذي يركب مطيته بعض المزايديين على الشريعة وذوي المغامرات الطائشة والأطروحات المثيرة المثبمة بالمخالفات الشبهية واللاهثين وراء ركوب موجة حُب الشهرة والظهور، وقد أوضح لنا القرآن الكريم ذلك غاية الإيضاح في جانب قوم لا خلاق لهم من المنافقين بقوله سبحانه: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ فَسَيَكُونُوا فَتَنًا يُضِلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ** [البقرة:11، 12] (24).

[illegible]

مواربة أو أعضاء، وإنّ منهج الحوار ليحسب للأمة الإسلامية وثبةً فكريةً وحضاريةً تُحْكِم نسيج الجماعة المسلمة وتعضد من وحدتها وتآلفها، ومنقبةً شماء تستطلع في شموخ الآيات التحدي داخليةً وخارجيةً في هذا العصر المتفتق على متغيراتٍ خطيرة، لكن ثم لكن لا بدّ من مراعاة آداب الحوار وضوابطه ومنهجه وأخلاقياته، حتى لا يتحوّل الحوار إلى فوضى فكرية تلحق الأثار السلبية على البلاد والعباد، وأن لا يتخذ الحوار من ذوي المآرب المشبوهة مطيةً للنيل من المسلمات والمساس بالثوابت، سدّد الله الخطى ومنى التوفيق. ولوسائل الإعلام النزيهة المنصفة من قنوات وشبكاتٍ وصُحفٍ ومجلاتٍ عبءٌ في بيان وبث قضايا الأمة والسعي للدفاع عنها، مع كشف هجمات الأعداء المسمومة والوقوف بحزم أمام حملاتهم المسمومة وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن ديننا وعقيدتنا وشريعتنا. أما بعض وسائل الإعلام والقنوات الفضائية المتهتكة التي تنشر غاراتٍ شعواء من الشهوات والملذات التي تضرم نيران الفساد والإفساد وتزلزل معاليل الطهر والفضيلة من القواعد فإننا نقول لهم أن يتقوا الله في قيم الأمة ومثلها وفضائلها، وأن يُبقوا على ألعاء من حياء لبني الإسلام ودياره. إن استحوذ الرذيلة على جوانب من حياة الأمة عبر تلك القنوات يُعرضها لأخطر المهالك، ويفضي بها إلى مهالٍ سحيقة من الظلم والظلم، خصوصاً وأن كثيراً من القلوب خاوية من اليقين والحشية، وهما خير عاصم من قواصم تلك القيعان الوبيئة. وإيم الله، إنك لتقضى أسى وحسرةً على الأحوال المزرية المسبقة التي آل إليها أمرٌ كثير من الفضائيات وشبكات المعلومات من الدعوة الصارخة إلى الفحش والفضائح وسرد المخازي والقبائح، في تحطيم أرعن للشرف والعفة والفضيلة والأخلاق (27).

قال تعالى: ﴿لَوْ لِي بُيُوتٌ تُبْتَغَى الْوَعْدُ بِهَا لِلْمَسْكِينِ وَوَجْهُهُ يُسْأَلُ عَنْهُ﴾ (28). شريعتنا الغراء كانت ولا تزال الحفية بالمرأة، الحارسة لكرامتها وعرضها، الراعية لحقوقها ومكانتها، أمّا كانت أو بنتاً، زوجةً أو أختاً. والإسلام هو الذي شرع السُّبُل الكفيلة لتحسين شخصيتها ضدّ كلّ ما يهدّد مقوماتها من الامتهان والابتذال، خصوصاً في هذا العصر حيث سعي المغريات والشهوات واشتداد الهجمة على المحصنات المؤمنات، وقد بات من البدهيات أنّ الذين ينتقصون الإسلام من خلال ما يتظاهرون به من الدفاع عن حقوق المرأة وقضاياها إنما يصدرون عن فيضان مشاعرٍ مسعورة وأهواء جامحة تريد من المرأة المصونة أن تكون أداةً طيعةً في التقليد والإغراء، وليس وراء تلك الدعوات اعتبارٌ لدينٍ أو خلقٍ أو فضيلةٍ أو رغبةٍ في إنصاف المرأة، وإلا كيف يقبل العقل أن يكون الوقار والحشمة والحياء في قصص الاتهام والتنديد والجفاء، والسفور والتبرج مبرّان من كلّ نقبصةٍ ووصمة. إن مكانة المرأة في الحضارات الغربية، فإنها كانت ولا تزال معدودةً مسلاةً لتُرف الرجل وبذخه الغريزي والجنسي، ومظهرًا لا بدّ منه للبريق الحضاري. وبرهان آخر يتجلى في المنادين والمناديات بالحرّيات عمومًا وبحرية المرأة خصوصًا، أين هؤلاء عن نزع حجابها عنوةً في بعض المجتمعات التي يُزعم أنها مضربُ المثل في صيانة الحريات ومراعاة حقوق الإنسان؟ (29). إنّ الإسلام حين شرع الحجاب ولزوم الحياء والقرار إنما يصرف المرأة إلى خصائصها ومكانتها التي لا يُحسنها سواها، ويراعي ظروفها وأنوثتها، لتمييزها مع الرجل جنبًا إلى جنب في هذا الكون بنظام محكم بديع من اللطيف الخبير، لكلِّ مقامه ووظيفته، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَلْعَبُونَ بَأْسَاءِ مُنْتَفِئِينَ﴾ [البقرة: 140] (30). وللواهمين والواهمات يساق القول: إنّ المرأة في مكانتها وبالتزام آداب الحجاب الشرعية والضوابط المرعية لا يمنعا ذلك أن تكون في قمة الحضارة والرفق وإحراز السبق العلمي والتقدم الاجتماعي والنهوض بأمتها والانتصار لدينها، وإن اضطرت إلى العمل الوظيفي أو المهني ففي منأى عن أنظار الرجال والاختلاط بهم، وأن لا تكون بررةً تنازعهم أقدامهم وتزاحمهم مناكبهم، حين ذاك يغيب ماؤها ويذهب بهاؤها، فالحذر من كلّ دعوةٍ تنشاز تريد أن تهبط بالمرأة من سماء مجدها وأن تنزلها من علياء كرامتها وإن بدت بزخرف القول ومعسول الكلام ودعوى التقدّم الزائفة والمدنية المزعومة والحرية المأفونة (31) والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَلْعَبُونَ بَأْسَاءِ مُنْتَفِئِينَ﴾ [البقرة: 140] (32). ولذا وجب أن نحفظ أقدار العلماء، وأن نلتزم بالصدق والوفاء بالعهد والأمانة والحشمة والصيانة وبرّ الوالدين وصلة الأرحام، وخلاصة القول يمكن أن نقول: إنّ التغريب هو التيار الذي ظهر نتيجة ظروف معيّنة حلت بالأمة العربية والإسلامية، وكان هذا التيار يدعو إلى الأخذ عن الغرب في كلّ المجالات، بهدف التطور والتقدم. ولكن الداعين إلى هذا التيار

والمدافعين عنه، تطرّفوا في آرائهم، لدرجة رفضهم وتبرّئهم من كلّ ما يمتّ إلى القديم بصلة من قريب أو بعيد، من دين، وتقاليد، وموروثات، وحضارة، ولغة، وأي شيء يتعلّق بهذا الماضي. فهؤلاء تصوّروا أنّ التّقدّم والتّطوّر لا يأتيان إلّا بترك الماضي وما فيه من خير وشرّ، والأخذ عن الغرب بكلّ ما فيه من خير وشرّ. لذلك نرى أنّ هؤلاء وقعوا في تناقض عجيب حيث كانوا ينتقدون التّقليد واتباع القديم، وكانوا بنفس الوقت يقدّون الغرب "فالجديد هو في حقيقة الأمر قديم الأوروبيين، والذين يسمّونهم المقلّدين كانوا هم الذين يقدّون آباءهم وأجدادهم، في حين أنّ من يسمّون بالمجددين كانوا هم الذين يقدّون الأوروبيين". (32) أمّا أسباب ظهور هذا التّيار فأهمّها ، قدوم كثير من البعثات، والإرساليات الغربيّة، إلى الشّرق والتي جاءت إليه من أجل تحقيق أهداف وغايات خطيرة ظهرت فيما بعد، فكانت هذه الإرساليات مقدّمة لدرس وفهم الشّرق، من أجل تمهيد الطّريق لإحتلال هذه البلاد والسيطرة عليها واستغلالها - وكان لسياسة العثمانيين التّجهيليّة، والتّخلّف الشّديد في كلّ مناحي الحياة، أثر بالغ في توجّه هؤلاء العرب إلى الغرب، والدّعوة إلى اقتباس علومه وحضارته، فانساقوا إلى هذا، دون النّظر إلى غيره، مما أوجد صراعاً بين دعاة الاقتباس عن الغرب، ودعاة المحافظة على القديم، (33) هذا ولنعلم أنّ التّغريب: بالمعنى الخاصّ الضّيق لهذه الكلمة، أي بمعنى نبذ الشّرق والعرب والإسلام، واللّحاق مباشرة بالمدنيّة الغربيّة، بكلّ حسناتها وبكلّ سيّئاتها. وأبرز من مثّل هذا الاتجاه والمعادي صراحة لكلّ انتماء عربيّ وإسلاميّ وشرقيّ تاريخيّ أو دينيّ أو أدبيّ. ولم يكن العداء للعربيّة الفصحى، ومعركة القديم والحديث، إلّا وجهاً لظاهرة التّغريب بهذا المعنى. لقد كانت مهمة الشريعة الإسلامية هي العناية بحفظ الضروريات الخمس : الدين والنفس والعقل والعرض والمال وهذه من ثوابت الإسلام والحمد لله رب العالمين

الخاتمة والتوصيات

أما بعد :

فبعد كتابة هذا البحث ظهرت لي النتائج الآتية :

- إن غياب العلم الشرعي وتفشي الجهل سبب عظيم لوقوع الفتن والعولمة والتغريب وانتشارها , فوجبت العناية بطلب العلم الشرعي من مصادره الأصلية الصحيحة .
- عالمية رسالة الإسلام للناس أجمعين , وهذه إحدى خصائص النبي صلى الله عليه وسلم , الذي بذل واجتهد في دعوة الناس إلى هذا الدين وتحمل من أجله الأخطار والمتاعب , وكان بذلك قدوة لأمتة .
- ارتباط الأمة بقادتها وعلماؤها ورجوعها إليهم من أسباب العز والنصر , والاستتباب الأمن وغير ذلك من الثمار المباركة والنتائج الطيبة .
- يجب على المسلمين عموماً والعلماء خصوصاً بيان شريعة الإسلام وأحكامها السامية العادلة مع الناس عموماً ومن ذلك المستأمنين , والرد على المخالفين وبيان وجه الحق والصواب عن طريق الكتاب والمحاضرة والبحث العلمي وغير ذلك .

هوامش البحث:

- (1) العرب والعلومة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998م من بحث للدكتور محمد عابد الجابري ، ص 135
- (2) مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة: أحمد صدقي الدجاني، جريدة القدس، 2/6/1998م. ص13.
- (3) العولمة-صالح الرقب (ص: 5)
- (4) القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد (ص: 156) ، ينظر : العولمة-صالح الرقب (ص: 3)
- (5) د. محمود فهمي حجازي، مجلة الهلال، عدد مارس 2001، القاهرة ص87.
- (6) مقاربتان عربيتان للعولمة، ياسر عبد الجواد، المستقبل العربي عدد 252 شباط 2000م ص2.
- (7) حقوق الإنسان من العالمية الإنسانية والعولمة السياسية ، مجلة الموقف الثقافي: باسيل يوسف، العدد 10، 1997م، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص17، ينظر : العولمة .. صالح الرقب : ص 6
- (8) الكفر بالله وأثره في الأرض (ص: 56)
- (9) مخاطر العولمة على المجتمعات العربية: أ.د مصطفى رجب، مجلة البيان 2000/10/13.
- (10) العولمة : صالح الرقب : ص10
- (11) مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة: أحمد صدقي الدجاني، جريدة القدس، 2/6/1998م. ص13.
- (12) الديمقراطية: آثار وثمرات: 60/1 ، انظر العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي: الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري
- (13) العولمة : لمحمد سعيد أبو زعرور : ص13
- (14) دليل العقول الحائرة : 6/1
- (15) العولمة : لمحمد سعيد أبو زعرور : ص13
- (16) المصدر نفسه
- (17) التشريع الجنائي في الإسلام - (416/3)
- (18) المصدر نفسه
- (19) قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب : 400/1
- (20) سورة القصص دراسة تحليلية : 109
- (21) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر : ص190
- (22) وسطية الإسلام - (21/1)
- (23) سورة القصص دراسة تحليلية : 95/2
- (24) العلمانية .. التاريخ والفكرة.. عوض القرني (ص: 14)
- (25) موسوعة خطب المنبر - (3122/1)
- (26) موسوعة خطب المنبر : 3222/1
- (27) أوراق الملتقى الأول للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن - (35/10)
- (28) إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه - (51/1)
- (29) صحيح البخاري: كتا الجمعة (965)، صحيح مسلم: كتاب الأضاحي (1961)، واللفظ للبخاري.
- (30) إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه - (51/1)
- (31) أوراق الملتقى الأول للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن - (35/10)
- (32) قضايا الإصلاح و النهضة عند محب الدين الخطيب - (401/1)
- (33) قضايا الإصلاح و النهضة عند محب الدين الخطيب - (407/1)